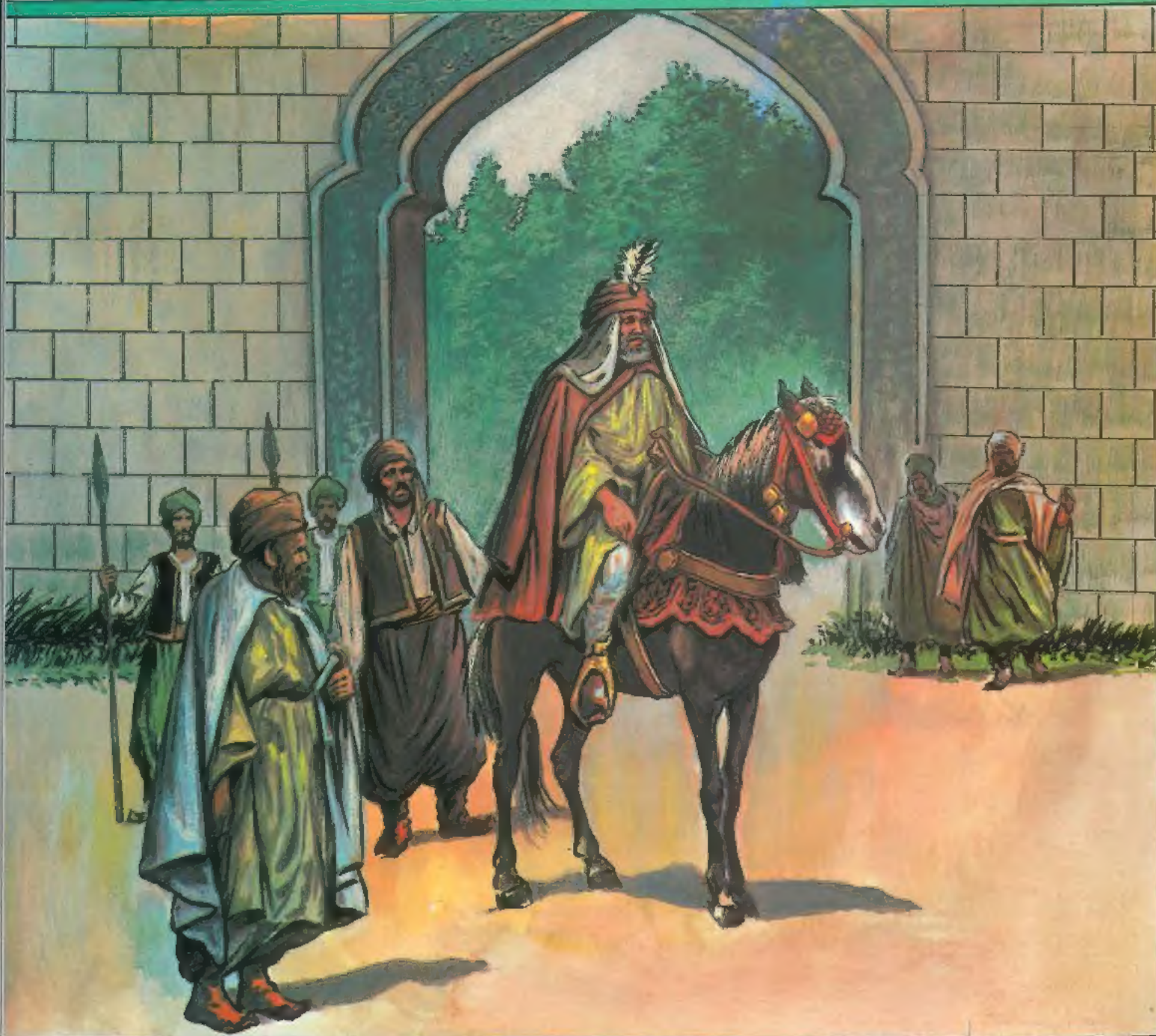


الرحمة الرابعة



علاء الدين

سُرُجُ الْخَيْلِ



مجلدات السندباد



الرحلة الرابعة

سُرُوح الخيل

اعتاد ورسم

رفعت عفيفي

الدار الموزجية

للطباعة والنشر



شركة أبناء شريف الانصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• **المكتبة العربية**

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٠٠٩٦١ ٦٥٩٨٧٥ - ٦٣٢٦٧٣
بيروت - لبنان

• **الدار النشرون**

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٠٠٩٦١ ٦٥٩٨٧٥ - ٦٣٢٦٧٣
بيروت - لبنان

• **المطبعة العصرية**

بوليفار د. نزيه البرزي - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٠٠٩٦١ ٧٢٩٣٦١ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٠٦٢٤
صيدا - لبنان

٢٠١٣ م - ١٤٣٤ هـ

Copyright © all rights reserved

جميع الحقوق محفوظة للناسر

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير، أو التسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناسر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com



مَضَتْ سِنَوَاتُ ثَلَاثٍ عَلَى عَوْدَتِي مِنْ رِحْلَتِي الثَّالِثَةِ. مَكُنْتُ فِيهَا بِمَدِينَةِ بَغْدَادِ
أُبَاشِرُ أَعْمَالِي الَّتِي ازْدَهَرَتْ وَمَتَاجِرِي الَّتِي كَثُرَتْ وَتِجَارَتِي الَّتِي اتَّسَعَتْ وَأَصْبَحْتُ تَدُرُّ
عَلَيَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْبَاحِ. وَكُنْتُ خِلَالَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ الثَّلَاثِ سَعِيدًا بِحَيَاتِي
الْهَادِئَةِ، مُغْتَبِطًا بِقُرْبِي مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْكُبَرَاءِ، مُحَاطًا بِكُلِّ مَظَاهِرِ التَّرَفِ وَالرِّفَافِيَّةِ. وَلَمْ
يَدُمْ حَالِي طَوِيلًا. إِذْ سُرْعَانَ مَا بَدَأَ الْمَلَلُ يَتَسَرَّبُ إِلَى نَفْسِي بَعْدَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ
الثَّلَاثِ، وَأَخَذَتِ الذِّكْرِيَّاتُ تُلَاحِظُنِي فِي يَقْظَتِي وَمَنَامِي، وَأَشْتَقْتُ إِلَى السَّفَرِ
وَالْمُغَامَرَةِ.

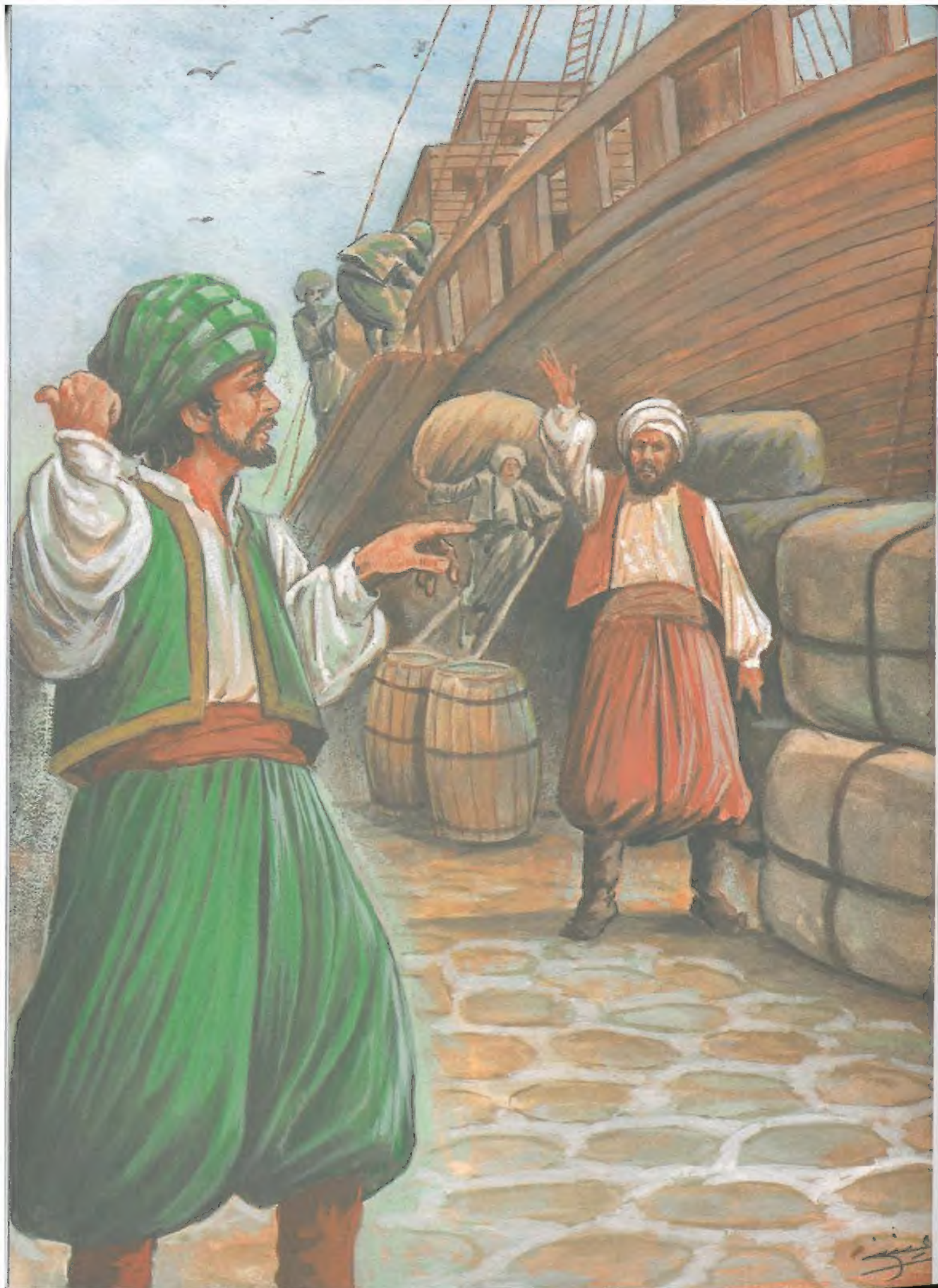
وَكَمْ حَاوَلْتُ أَنْ أَدْفَعَ هَذِهِ الْأَفْكَارَ بَعِيدًا عَنِّي وَأَقُولَ لِنَفْسِي لَقَدْ تَعَرَّضْتُ لِكَثِيرٍ مِنَ
الْمَخَاطِرِ وَالْأَهْوَالِ. وَإِنَّ الْمَرَّةَ لَا يَسْلَمُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ. وَلَكِنِّي أَجِدُنِي فِي النِّهَايَةِ أَحَدْتُ
نَفْسِي بِأَنْ قَدَرِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. وَإِذَا كَانَ لِي عُمُرٌ فَلَنْ يَنْقُصَ مَعَهُمَا عَظَمَتِ الْأَخْطَارِ.
وَمَعَهُمَا كَانَ الْأَمْرُ فَإِنِّي أَجِدُ فِي الْأَخْطَارِ لَذَّةً تَفُوقُ لَذَّةَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْمَأْمُونَةِ الْهَادِئَةِ. وَهَكَذَا



أَسْتَقَرَّ عَزَمِي فِي النَّهْيَةِ عَلَى السَّفَرِ فَلَمْ تَمْضِ أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ إِلَّا وَكُنْتُ قَدْ جَهَّزْتُ كُلَّ مَا يَلْزَمُ
مِنْ مَالٍ وَتِجَارَةٍ وَسِرْتُ فِي قَافِلَةٍ كَبِيرَةٍ إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ بَعْدَ أَنْ أَوْصَيْتُ عُمَالِي عَلَى
مُتَجَرِّي .

وَفِي الْبَصْرَةِ كَانَتْ هُنَاكَ سُفُنٌ كَثِيرَةٌ تَتَأَهَّبُ لِلرَّحِيلِ إِلَى كُلِّ بِلَادِ الدُّنْيَا فَتَخِيرُ
أَكْبَرَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَالْقَيْتُ فِيهَا تِجَارَتِي وَأَحْمَالِي مَعَ غَيْرِي مِنَ التَّجَارِ وَالرُّكَّابِ . وَتَحَرَّكَتْ
بِنَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ تَدْفَعُهَا رِيحٌ طَيِّبَةٌ عَلَى بَحْرِ هَادِيٍّ إِلَى عَالَمٍ مَجْهُولٍ .

مَرَّتْ أَيَّامٌ عَدِيدَةٌ وَالسَّفِينَةُ تَنْسَابُ فِي رِقَّةٍ وَهْدُوٍ تَحْتَ سَمَاءٍ صَافِيَةٍ ، إِلَى أَنْ
لَاحَتْ لَنَا جَزِيرَةٌ أَتَجَهَّنَا إِلَيْهَا . وَالْقَيْنَا بِهَا مَرَسَانًا فَوَجَدْنَاهَا أَهْلَةً بِالسَّكَّانِ الْمُسَالِمِينَ
فَاشْتَرَوْا مِنَّا وَاشْتَرَيْنَا مِنْهُمْ وَمَكَّنَّا فِيهَا عِدَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَرَكْنَاهَا إِلَى غَيْرِهَا بَعْدَ عِدَّةِ شُهُورٍ
حَيْثُ فَعَلْنَا الشَّيْءَ نَفْسَهُ ، ثُمَّ أَبْحَرْنَا إِلَى جَزِيرَةٍ أُخْرَى وَأُخْرَى وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي
حَتَّى أَصْبَنَّا رِبْحًا طَيِّبًا وَتَجَمَّعَ لَدَيْنَا الْعَدِيدُ مِنْ بَضَائِعِ هَذِهِ الْجُزُرِ . وَكَانَ قَدْ مَضَى عَلَيْنَا



أَكْثَرُ مِنْ عَامٍ وَلَمْ يَعُدْ أَمَامَنَا إِلَّا أَنْ نَعُودَ إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ وَكَانَ هَذَا رَأْيَ الْكَثِيرِ مِنَّا. إِلَّا
أَنَّ الْبَعْضَ كَانَ مِنَ الْجَشَعِ بِحَيْثُ غَرَّهُ الرِّيحُ الْوَفِيرُ فَأَرَادَ الْمَزِيدَ مِنْهُ وَطَالَبَ بِأَنْ نَذْهَبَ
إِلَى بَعْضِ الْجُزُرِ الْأُخْرَى. وَأَغْرَى هَؤُلَاءِ رُبَّانَ السَّفِينَةِ وَالْبَحَّارَةَ بِالْمَالِ فَوَافَقُوهُ عَلَى مَا
أَرَادَ؛ وَعَلَى كَرِّهِ مِنَّا وَاصَلْنَا الرَّجُلَ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ وَقَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ بِقَلِيلٍ أَكْفَهَرَ الْجَوُّ وَأَمْتَلَّتِ السَّمَاءُ بِالْغُيُومِ
الْكَثِيفَةِ السَّوْدَاءِ فَغَامَتِ الدُّنْيَا وَأَظْلَمَتْ وَعَلَا الْمَوْجُ كَالْجِبَالِ وَانْهَمَرَ الْمَطَرُ كَالسَّيْلِ
وَبَاتَتِ السَّفِينَةُ كَأَرْجُوْحَةٍ يَقْدِفُهَا الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَهِيَ تَعْلُو تَارَةً إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ
تَغْرُصُ تَحْتَ الْمَاءِ وَنَحْنُ نَصْرُخُ ضَارِعِينَ إِلَى اللَّهِ، وَنُؤَلِّلُ خَوْفًا مِنَ الْغَرَقِ. وَقَوَّيْتُ

الرَّيْحُ عَلَى الشَّرَاعِ فَمَزَقَتْهُ وَتَكْسَرَتِ الصُّوَارِي فَسَقَطَتْ عَلَيْنَا وَعَلَى ظَهْرِ الْمَرْكَبِ لِتَقْتُلَ
الْبَعْضَ مِنَّا وَتَأْتِي عَلَى الْمَرْكَبِ بِكَامِلِهِ . وَلَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَأَنَا أَضْرِبُ سَاعِدِي فِي
الْمَاءِ فِي مُحَاوَلَةٍ يَائِسَةٍ لِلنَّجَاةِ حَتَّى سَاقَ إِلَهُ إِلَيَّ إِحْدَى الصُّوَارِي الْمَكْسُورَةِ فَتَشَبَّثْتُ بِهَا
وَهَكَذَا فَعَلَ الْبَعْضُ مِنْ كُنُتِ لِهَمِّ النُّجَاةِ . وَمَرَّتْ بِنَا سَاعَاتٌ كَأَنَّهَا دَهْرٌ فِي خِضَمِّ هَذِهِ
الْأَمْوَاجِ حَتَّى ظَهَرَتْ تَبَاشِيرُ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، فَهَدَّأَتِ الْأَمْوَاجُ وَأَنْقَشَعَ السَّحَابُ
وَسَكَنَ الْهَوَاءُ وَبَقِيَ الصَّارِي فَوْقَ صَفْحَةِ الْمَاءِ وَنَحْنُ فَوْقَهُ نَنْتَظِرُ إِلَى بَعْضِنَا ثُمَّ تَلَفَّتْ
حَوْلَنَا بَحْثًا عَنْ شَاطِئٍ قَرِيبٍ أَوْ سَفِينَةٍ مُبْحِرَةٍ . وَرَغِمَ أَنْنَا كُنَّا سُعْدَاءَ بِنَجَاتِنَا بَيْنَمَا غَرِقَ
أَكْثَرُ الرِّفَاقِ إِلَّا أَنْنَا كُنَّا نَجْهَلُ الْمَصِيرَ الَّذِي يَنْتَظِرُنَا وَنَحْنُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي ظَلَلْنَا



عَلَيْهَا حَتَّى ذَهَبَ النَّهَارُ كُلُّهُ وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ وَقَدْ صَرْنَا فِي حَالَةٍ مِنَ الْإِعْيَاءِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ
لَا نَقْدِرُ مَعَهَا عَلَى الْحَرَكَةِ أَوْ الْكَلَامِ. وَأَشْرَقَ نُورُ يَوْمٍ آخَرَ وَأَقْبَلَ مَعَهُ الْهَلَاكُ مَعَ



الْأَسْمَاكِ الْكَبِيرَةِ الْمُتَوَحِّشَةِ الَّتِي رَاحَتْ تَحُومُ حَوْلَنَا وَتَشُقُّ الْمَاءَ إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ تَحَاهٍ.
فَأَخْرَجَتْ خِنْجَرِي مِنْ غَمْدِهِ وَأَمْسَكَتُهُ بِيَدِي وَحَعَلْتُ أَرْقُبُ الْأَسْمَاكِ مِنْ فَوْقِ الصَّارِي
وَقَدْ أَمْتَلَأْتُ رُغْبًا مِنْهَا. وَفِي لَحْظَةٍ خَاطِفَةٍ قَفَزَتْ إِحْدَاهَا مِنَ الْمَاءِ لِتَخْتِطِفَ وَاحِدًا مِنَّا ثُمَّ
غَاصَتْ بِهِ إِلَى الْأَعْمَاقِ. وَلَمْ نَكَدْ نَفِيْقُ مِنْ ذَهَوْلِنَا حَتَّى قَفَزَتْ وَاحِدَةٌ أُخْرَى لِتَأْخُذَ رَجُلًا
آخَرَ. فَصَرَخْتُ وَقَسْتُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. هَلْ نَجُونَا مِنَ الْعَرْوِ لِكَيْ تَأْكُلَنَا هَذِهِ
الْأَسْمَاكِ؟!»، وَوَجَدْتَنِي أَقْبَضُ جِدًّا عَلَى خِنْجَرِي وَصَمَّمْتُ عَلَى أَنْ أَدَافِعَ عَنْ نَفْسِي
وَأَلَّا أَكُونَ طَعَامًا سَهْلًا لَهَا. وَجَعَلْتُ أَقْلُبُ نَصْرِي بِسُرْعَةٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَأَرَاقِبُ حَرَكَاتِهَا
حَتَّى لَا تُفَاجِئَنِي إِحْدَاهَا.

وظَهَرَتْ لِي وَاحِدَةٌ تَشُقُّ الْمَاءَ وَتَدْفَعُ نَحْوِي فِي سُرْعَةٍ مُذْهَلَةٍ حَتَّى لَمْ نَعُدْ بَيْنِي
وَبَيْنَهَا إِلَّا بِمَقْدَارِ ذِرَاعٍ وَقَفَزْتُ فَوْقِي، إِلَّا أَنِّي أَحْنَيْتُ رَأْسِي بِسُرْعَةٍ يَتِمَّا يَدِي مُرْتَفِعَةً
بِالْخِنْجَرِ إِلَى أَعْلَى لِيَشُقَّ الْخِنْجَرُ بَطْنَهَا وَيَخْرُجَ أَمْعَاؤُهَا قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ فِي الْمَاءِ. وَمَا أَنْ
سَقَطْتُ حَتَّى تَحَوَّلَ لَوْنُ الْمَاءِ إِلَى حُمْرَةٍ قَانِيَةٍ. وَمِنْ عَجِيبِ الْأَمْرِ أَنَّ بَقِيَّةَ الْأَسْمَاكِ قَدْ
تَحَوَّلَتْ عَنَّا إِلَيْهَا وَتَجَمَّعَتْ حَوْلَهَا تَنْهَشُ فِي سَحْمِهَا وَصَرَخْتُ فِي مَنْ مَعِي وَطَلَبْتُ إِلَيْهِمْ
أَنْ يُجَذِّفُوا بِأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ حَتَّى نَبْتَعدَ بِالصَّارِي عَنْ هَذَا الْمَكَانِ قَبْلَ أَنْ تَفْرَغَ الْأَسْمَاكِ
مِنْ وَلِيْمَتِهَا. وَبِلَرُغَمِ مَنْ أَنَا نَحْنُ فِي الْإِتْعَادِ إِلَّا أَنِّي ظَلَلْتُ قَابِضًا بِشِدَّةٍ عَلَى
خِنْجَرِي خَوْفًا مِنْ مَلَاَحِقَتِهَا لَنَا. وَلَكِنْ ظَهَرَ لَنَا شَيْءٌ آخَرٌ. فَقَدْ عَادَ الْبَحْرُ إِلَى ثَوْرَتِهِ مَرَّةً
أُخْرَى فَارْتَفَعَ الْمَوْجُ وَهَظَلَ الْمَطَرُ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَنْدَفَعَ بِنَا الصَّارِي وَتَشَبَّهَ بِشِدَّةٍ كَيْلَا
نَسْقُطَ مِنْ فَوْقِهِ يَتِمَّا هُوَ يَغْلُو وَيَهْبُطُ وَصَرَنا نَغِيبُ عَنِ الْوَعْيِ ثُمَّ نَفِيْقُ ثَانِيَةً. وَجَاءَتْ
مَوْجَةٌ عَائِيَةٌ كَالْجِبَلِ اسْتَاهَقَ فَأَطَاحَتْ بِنَا وَدَفَعَتْنا دَفْعَةً قَوِيَّةً فِي سُرْعَةٍ جُنُونِيَّةٍ لِنَجِدَ أَنْفُسَنَا
بَعْدَهَا مُسْتَلْقِينَ عَلَى رَمَالٍ شَاطِئِيٍّ لَا نَدْرِي مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ؟. وَأَنْتَابَتْنَا سَعَادَةٌ غَامِرَةٌ وَهَلَّلْنَا
فَرِحِينَ بِالنَّجَاةِ وَشَكَرْنَا اللَّهَ وَنَحْنُ نَصْرُخُ مِنَ الْفَرَحِ وَلَا نُصَدِّقُ النَّجَّةَ.



وَأَسْرَعْنَا بِالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْبَحْرِ إِلَى دَاخِلِ الشَّاطِئِ حَتَّى لَا تَجْرُقَنَا لَأَمْوَاجُ مَعَهَا ثُمَّ
أَسْتَلْقَيْنَا فِي أَمْنٍ لِنَسْتَرِيحَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ عَنَاءٍ. وَحَانَتْ مِنِّي الْتِفَاتُهُ إِلَى مَا حَوْلِي
فَرَأَيْتُهَا جَزِيرَةً كَبِيرَةً كَأَنَّهَا دُنْيَا كَامِلَةٌ بِجِبَالِهَا الشَّاهِقَةِ وَصُحُورِهَا الْهَائِلَةِ. وَبَعْدَهَا نَظَرْتُ
إِلَى زُمَلَائِي فَرَأَيْتُهُمْ وَقَدْ أَسْلَمَهُمُ الْتَعَبُ إِلَى النَّعَاسِ فَأَسْلَمْتُ نَفْسِي مِثْلَهُمْ لِلنَّوْمِ
الْعَمِيقِ. وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ اسْتَيْقَظْتُ عَلَى حَرَارَةِ الشَّمْسِ الْمَتَوَهِّجَةِ فَأَيْقَظْتُ
زُمَلَائِي وَكُنَّا جَمِيعًا فِي حَالَةٍ إِعْيَاءٍ مِنَ الْجُوعِ وَقَرَّرْنَا أَنْ نَدْخُلَ الْجَزِيرَةَ لِلْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ
يُؤَكِّلُ. وَفِي دَخْلِهَا رَأَيْنَا الْأَشْجَارَ تَتَشَابَكُ وَأَغْصَانُهَا خَالِيَةٌ مِنَ الثَّمَرِ فَعَلِمْنَا أَنَّهَا آهَلَةٌ
بِلِسْكَانِ الَّذِينَ يَحْمَعُونَ ثَمَارَهَا. وَلَمْ نَجِدْ إِلَّا بَعْضَ الْأَشْجَارِ الَّتِي لَمْ تَنْضَجْ ثَمَارُهَا بَعْدُ
فَالْتَهَمْنَا هَذِهِ الثَّمَارَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَعَثَرْنَا عَلَى نَهْرٍ فَرَوَيْنَا مِنْهُ ظَمَانًا، ثُمَّ وَاصَلْنَا السَّيْرَ



في غاباتها ويَبِينَ أَحْرَاشُهَا حَتَّى ظَهَرَتْ لَنَا أَرْضٌ وَاسِعَةٌ تَنَاثَرَتْ بِهَا أَكْوَاخٌ مِنَ الْقَشِّ
وفروع الشجرِ فهلَّلنا لرؤيتها وفرحنا غاية الفرح، ثُمَّ أَسْرَعْنَا الْخُطَى إِلَيْهَا فَشَاهَدْنَا بَعْضَ
أَهْلِهَا عُرَاةَ الْأَجْسَادِ إِلَّا مِنْ أَجْزَاءِ قَلِيلَةٍ قَدْ غَطَّتْهَا جُلُودُ الْحَيَوَانَاتِ أَوْ أَوْرَاقُ الْأَشْجَارِ. وَمَا
أَنْ رَأَوْنَا حَتَّى نَادَوْا بَعْضُهُمْ فَجَآؤَا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ مُسْرِعِينَ فَأَمْتَلَّا الْمَكَانَ بِهِمْ، وَوَجَدْنَا
أَنْفُسَنَا وَقَدْ أَحَاطُونَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَهُمْ يَصْرُخُونَ وَيُهَيِّلُونَ وَيَقْفِزُونَ حَوْلَنَا كَالْقُرُودِ أَوْ
كَأَنَّهُمْ الشَّيَاطِينُ. وَأَمْتَلَتْ نُفُوسُنَا مِنْهُمْ رُعْبًا وَخَوْفًا وَهُمْ يَسُوقُونَنَا وَيَدْفَعُونَنَا بِحِرَابِهِمْ إِلَى
نَاحِيَةِ كُوخٍ كَبِيرٍ خَرَجَ مِنْهُ رَجُلٌ كَأَنَّهُ قَرْدٌ ضَخْمُ الْجَنَّةِ، أَفْطَسُ الْأَنْفِ، مَرْتَفَعُ الْجَبْهَةِ،
تَدَلَّى شَفَتَاهُ الْغَلِيظَتَانِ كَذُنِّي الْفِيلِ وَمَا أَنْ رَأَوَهُ حَتَّى سَجَدُوا حَمِيْعًا أَمَامَهُ يَضْرِبُونَ
الْأَرْضَ بِأَكْفِهِمْ وَيُضْذِرُونَ أَصْوَاتًا كَأَنَّهَا الرِّعْدُ. ثُمَّ قَامُوا بَعْدَ ذَلِكَ يَقْفِزُونَ وَيَرْقُصُونَ ثُمَّ

دَفَعُونَا إِلَى مَكَانٍ فِي وَسْطِهِمْ بَيْنَمَا جَلَسَ زَعِيمُهُمْ فَوْقَ ظَهْرِ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ فَسَكَرَ الْجَمِيعُ
وَوَقَفُوا رَافِعِينَ حِرَابَهُمْ وَقَدْ لَمَعَتْ أَسِنَّتُهَا تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ لِتَبْعَثَ الْمَوْتَ فِي نُفُوسِنَا
وَتَدْفَعَ الرَّعْبَ إِلَى قُلُوبِنَا. وَقَامَ الْبَعْضُ مِنْهُمْ بِإِشْعَالِ حَطَبٍ وَفُرُوعِ شَجَرٍ تَحْتَ قُدُورٍ
كَبِيرَةٍ وَجَآؤَا بِأَغْشَابٍ غَرِيبَةٍ الشَّكْلِ فَأَلْقَوْا بِهَا دَاخِلَ الْقُدُورِ. ثُمَّ صَبَّوْا فَوْقَهَا أَنْوَاعًا مِنْ



الدَّهْنِ وَالزُّيُوتِ لَهَا رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ. أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ أَيقَنَّا أَنَّنا بَعْدَ قَلِيلٍ سَنُوضَعُ دَاخِلَ هَذِهِ الْقُدُورِ أَحْيَاءً لِنَكُونَ طَعَاماً لَهُمْ. فَوَقَّفْنَا سَاكِنِينَ وَقَدْ أَسْلَمْنَا أَمْرَنَا لِلَّهِ وَلَمْ يَعُدْ لَنَا مِنْ مَهْرَبٍ مِنْ هَذَا الْمَصِيرِ. لَكِنَّ يَأْسَنَا الْقَلْبَ إِلَى سُرُورٍ بَعْدَ أَنْ شَاهَدْنَاهُمْ يُفْرِعُونَ مِمَّا فِي هَذِهِ الْقُدُورِ فِي أَوَانٍ خَشْبِيَّةٍ وَقَدَّمُوهَا إِلَيْنَا لِنَشْرَبَهَا وَقَدْ لَبِغْنَا مِنْهُمْ إِنَّهُمْ قَوْمٌ كَرَمَاءُ يُكْرَمُونَ ضِيُوفَهُمْ بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَةٍ. وَضَحِكْنَا فِي وُجُوهِهِمْ وَنَحْنُ نَقْرُبُ الْأَصْبَاقَ مِنْ أَفْوَاهِنَا بَيْنَمَا كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا. وَمَا أَنْ قَرَّبْتُ الطَّبَقَ مِنْ فَمِي حَتَّى نَفَدْتُ إِلَى أَنْفِي رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ فَانْظَرْتُ إِلَى رُمَلَائِي وَرَأَيْتُ الْأَمْتِعَاضَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فَقُلْتُ لَهُمْ لَا بُدَّ أَنْ تَشْرَبُوا وَإِلَّا اعْتَبَرُوهَا إِمَانَةً مِنْنا لَهُمْ وَلَا نَعْلَمُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ لَنَا مَعَهُمْ فَشَرَبُوا جَمِيعاً كَارِهِينَ. أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَقْرَبَهَا مِنْ فَمِي وَسَكَبْتُ مَا فِي الطَّبَقِ عَلَى الْأَرْضِ فِي عَفْةٍ عَنْهُمْ وَتَظَاهَرْتُ بِأَنِّي شَرَبْتُهُ كُلَّهُ. وَنَظَرْتُ إِلَى رُمَلَائِي فَرَأَيْتُهُمْ وَقَدْ اتَّسَعَتْ حَدَقَاتُ عُيُونِهِمْ عَنْ ذِي قَبْلُ وَبَدَّوْا ذَاهِلِينَ كَالْمَذْهُوشِينَ. وَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا مِنْ جَرِّ ذَلِكَ الشَّرَابِ وَمِنْ أَثَرِهِ فَقُلْتُ رُمَلَائِي حَتَّى لَا يَكْتَسِفُوا فِعْلِي. وَرَأَيْتُ الْقَوْمَ بَعْدَ ذَلِكَ يَصْرُخُونَ فَرَجِينَ وَيَقْفِزُونَ إِلَى أَعْلَى فِي نَشْوَةٍ وَقَامَ زَعِيمُهُمْ إِلَى كُوخِهِ تَارِكاً الْقَوْمَ يَسُوقُونَ كَالْأَغْنَامِ إِلَى حَظِيرَةٍ وَأَخَذُوا اثْنَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ جَرَّوهُمَا مِنْ آذَانِهِمَا إِلَى خَارِجِ لِحَظِيرَةٍ بَعْدَ أَنْ أَغْلَقُوا عَلَيْنَا. وَكَانَ مَصِيرُ الرَّجُلَيْنِ الذَّخِ كَالْجِرَافِ. فَأَخَذُوا وَاحِداً وَوَضَعُوهُ فَوْقَ النَّارِ لِيَكُونَ شِوَاءَ لِرُزْعِيمِهِمْ. أَمَّا لِسْنِي فَقَدْ مَزَّقُوهُ إِرْباً إِرْباً بَيْنَهُمْ وَأَكَلُوهُ نَيْثاً.

شَاهَدْتُ هَذَا كُلَّهُ وَأَنَا رُتَجِفُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ. وَنَظَرْتُ إِلَى رُمَلَائِي فَوَجَدْتُهُمْ ذَاهِلِينَ مِنْ كُلِّ مَا يَحْدُثُ حَوْلَهُمْ وَحَاوَلْتُ مُخَاطَبَتَهُمْ فَلَمْ أَسْمَعْ مِنْهُمْ سِوَى أَصْوَاتٍ تُشَبِّهِ النَّهْيَ وَالنَّعْيَ. وَأَحْسَسْتُ أَنَّهُمْ مَا عَادُوا أَدْمِيسَ. بَلْ حَيَوَانَاتٌ وَبَهَائِمٌ. وَمَا عَدَدْتُ تَرْجِي مِنْهُمْ فَائِدَةً. وَلِهَذَا قَرَّرْتُ أَنْ أَهْرُبَ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ حَالِي مِثْلَهُمْ وَيَنْتَهِيَ مَرِي إِلَى مَصِيرِهِمْ. فَانْتَطَرْتُ حَتَّى أَتَى الْمَسَاءُ وَأَسَدَّ الدَّيْلُ سِتَارَهُ الْمَظْلَمَ عَلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ.



فَقَفَرْتُ مِنْ فَوْقِ سُورِ الْحَظِيرَةِ وَتَحَسَّسْتُ طَرِيقِي إِلَى نَاجِيَةِ الْغَابَاتِ الْكثِيفَةِ السَّخَرِ
وَأَخَذْتُ أَسْلَلُ بَيْنَ أَحْرَاشِهَا وَكُلِّي أَمَلٌ بَأَنَّ أَفْرَ بَعِيداً عَنِ الْقَرْيَةِ الْمُتَوَحِّشَةِ . وَمَضَى اللَّيْلُ
كُلُّهُ وَأَنَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ثُمَّ أَشْرَقَ الصُّبْحُ وَجَاءَ الصَّبَاحُ فَأَرَدْتُ أَنْ أُسْتَرِيحَ قَلِيلاً ، لَكِنِّي
خِفْتُ أَنْ يَلْحَقُوا بِي أَوْ يَعْثُرُوا عَلَيَّ فَوَاصَلْتُ سَيْرِي حَتَّى اتَّهَيْتُ إِلَى جَبَلٍ شَاهِقٍ
الْارْتِفَاعِ وَأَخَذْتُ ضَعْدَهُ فِي مَشَقَّةٍ بِلِغَةٍ لَوْ عَوَّرَتَهُ وَصَلَاتِيهِ ، وَسَتَعَرَّقَ صُغُودِي يَوْماً كامِلاً
حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَكَانَ التَّعَبُ وَالْجَهْدُ قَدْ نَالَا مِنِّي فَجَسَّسْتُ أُسْتَرِيحُ وَغَلَبَنِي النَّعَاسُ
فَاسْتَلْقَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي لِلنَّوْمِ حَتَّى الصَّبَاحِ .

وَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ كَانَ الْجُوعُ قَدْ جَعَلَنِي فِي حَالٍ لَا أَقْدِرُ مَعَهَا عَلَى مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ
فَأَخَذْتُ أُبْحَثُ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى الْأَعْشَابِ الَّتِي تَبْتُ فِي ثَنَائِي لَجَبَلٍ فَأَكَلْتُ
مِنْهَا ثُمَّ وَاصَلْتُ السَّيْرَ بَعْدَ ذَلِكَ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ أَكُلُ مَا يَصَادِفُنِي وَأَشْرَبُ مِنْ يِي نَبْعٍ مَاءٍ .
حَتَّى أَشْرَفْتُ فِي النِّهَايَةِ عَلَى مَكَانٍ فَسِيحٍ مَلِيٍّ بِالْخُضْرَةِ وَيَجْرِي فِيهِ نَهْرٌ كَبِيرٌ وَرَأَيْتُ
بَعْضَ النَّاسِ عَنْ بُعْدٍ يَرْتَدُّونَ مَلَابِسَ بَيْضَاءَ يَزْرَعُونَ أَوْ يَجْمَعُونَ بَعْضَ الْخُضْرَاتِ مِنْ
أَرْضٍ مَنْسَقَةِ الشُّكْلِ عَلَى هَيْئَةِ الْأَرْضِ الَّتِي تُزْرَعُ فِي بَلَدِي . وَلاَخَ لِي نُهُمُ قَوْمٍ
طَيِّبُونَ غَيْرُ الَّذِينَ قَرَرْتُ مِنْهُمْ . لَكِنِّي مَعَ ذَلِكَ شَعَرْتُ بِالْخَوْفِ حَذراً مِنْ أَنْ يَكُونُوا
مِثْلَهُمْ . فَظَلَلْتُ فِي مَكَانِي أَرْقُبُهُمْ عَنْ بُعْدٍ فَكَانَتْ تَصَرُّفَاتُهُمْ هَادِئَةً مِمَّا شَجَّعَنِي عَلَى أَنْ
أَقْتَرِبَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ فَرَأَيْتُ مَلَامِخَ وَجُوهِهِمُ السَّمَرَاءَ تَنِمُّ عَنْ طِيَبَةٍ . وَتَخَذْتُ مَكَاناً خَلْفَ
شَجَرَةٍ بِحَيْثُ لَا يَرَوْنِي فَسَمِعْتُهُمْ يَتَحَدَّثُونَ إِلَى بَعْضِهِمْ بَعْدَ أَنْ فَرَّغُوا مِنْ عَمَلِهِمْ فَعَمَّرَنِي
إِحْسَاسٌ جَارِفٌ بِالسَّعَادَةِ لَمَّا وَجَدْتُهُمْ يَتَحَدَّثُونَ بِلُغَتِي . فَتَرَكْتُ مَكَانِي وَأَنْدَفَعْتُ إِلَيْهِمْ
وَأَنْدَأَدِي عَلَيْهِمْ ، انْزَعَجُوا بِادْيَاءِ الْأَمْرِ لِرُؤْيَايَ ، وَغَرِيبِ هَيْئَتِي . ثُمَّ تَقَدَّمُوا مِنِّي حِينَ
سَمِعُونِي أَقُولُ لَهُمْ لَا تَخَافُوا مِنِّي فَأَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ عَنْ هَذِهِ لِبِلَادٍ وَهَارِبٌ مِنَ السُّودِ
الْمُتَوَحِّشِينَ . فَأَقْبَلُوا إِلَيَّ مُرَحِّبِينَ وَمُسَائِلِينَ عَمَّنْ أَكُونُ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتُ . فَرَوَيْتُ لَهُمْ



قَصَّتِي كَامِلَةً وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ وَيَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِي . ثُمَّ حَاوُوا نِي بِطَعَامٍ وَشَرَابٍ
فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَشَرِبْتُ حَتَّى أَرْتَوَيْتُ وَكَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ مَلَتْ إِلَى الْمَغِيبِ فَقَالُوا لِي
هَلْ تَأْتِي مَعَنَا ثُمَّ سَتَوَاصِلُ السَّيْرَ فِي حَالِ سَبِيلِكَ ؟ . فَسَأَلْتُهُمْ إِلَى أَيْنَ هُمْ يَقْصِدُونَ ؟ .
فَقَالُوا إِنَّ مَدِينَتَهُمْ خَلْفَ هَذَا النَّهْرِ الْعَظِيمِ . فَقُلْتُ لَهُمْ إِنِّي ذَاهِبٌ مَعَكُمْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ .
وَذَهَبْتُ مَعَهُمْ وَعَبَّرْنَا هَذَا النَّهْرَ الْكَبِيرَ فِي قَوَارِبَ كَانَتْ رَاسِيَةً عَلَى الشَّاطِئِ . وَحِينَ

وطلت أقدامنا الساطيء الآخر كان الليل قد أقبل فظهر القمر ساطعاً مُصيناً فسيرنا بين
المزارع والأشجار حتى انتهينا إلى قرية صغيرة يُوتها من الطين والأحجار فاقمت في
أحدها مع بعضهم حتى الصباح ، وكانو قوماً كرماء في ضيافتهم . وفي الصباح تجمع
أهل القرية كلها بعد أن عرفوا حكايتي وأقبلوا يُهنئوني بالنجاة ثم علمت أن البعض منهم
سيواصل السير إلى المدينة الكبيرة فطلبت أن أصحابهم إليها ، وسرت معهم ساعات
كثيرة حتى نتصف النهار إلى أن لاحت لنا مدينة كبيرة عالية لبناين عامرة بالناس
والأسواق ورأيت قصرًا كبيراً كثير القباب عالي الأبراج تحيط به حديقة واسعة فسألت
عن هذا القصر ، فقالوا لي إنه قصر السلطان . ودخلنا بعد ذلك بيتاً جميلاً له حديقة ،
فاستقبلنا صاحب البيت مرحباً مُبتسماً . ثم جلسنا في مكانٍ فسيحٍ وجيء بالطعام
والشراب فأكلنا وشربنا وحمدنا الله . وجلس صاحب البيت يسمع حكايتي من الذين
صحبوني وهو يتعجب . وفي النهاية قال لي : «مرحباً بك في بيتي وستكون ضيفي ما
حييت» . فشكرت للرجل كرمه وفضله .

ولم نكد نجلس بعد ذلك قليلاً إلا وسمعنا جلبة وأصواتاً خارج الدار . فتركنا
الرجل لينظر ما الأمر وعد إلي ليقول إن هؤلاء اقوم هم رسل السلطان وجنده جأوا في
طلبي . فأنزعجت وبدا الخوف على وجهي وتساءلت كيف عرف السلطان بأمرى ؟
فابتسم الرجل وهو يقول : «إن السلطان لا تخفى عليه خافية في هذا البلد» . وسألته :
- وفي أي شيء يريدني السلطان ؟ فأجاني الرجل بأنه لا يعلم . ونصحتني بأن أنصاع
لأمره وأذهب من قوري مع جنده . ولم أجد مفرًا من ذلك فقممت إليهم وسرت معهم إلى
قصر السلطان ، وأحسست برهبة وخوف وأنا أدخل من بابه الكبير واحراس بأيديهم
الجراب والسُوف . وهم في وقفتهم لا ينظرون يميناً أو يساراً ولا يرمشون حتى بأعينهم
مما جعل الرعب يدب في أوصالي . وأنتهينا بعد ذلك إلى حديقة كبيرة واسعة فيها من

كُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَا أُنبِتَتِ الْأَرْضُ مِنْ ثَمَارٍ وَأَزْهَارٍ وَتَوَسَّطُهَا سَاقِيَةُ مَاءٍ مِنَ الرَّخَامِ عَلَى حَوْبِهَا تَمَائِيلٌ لِحَيَوَانَاتٍ تُخْرِجُ الْمَاءَ مِنْ أَفْوَاهِهَا. لَكِنِّي كُنْتُ مَشْغُولًا عَنْ هَذَا كُلِّهِ بِخَوْفِي مِنْ مُثُولِي بَيْنَ يَدَيِ هَذَا السُّلْطَانِ الَّذِي لَا عُنْمَ مَاذَا يُرِيدُ مِنِّي أَوْ مَا سَيَفْعَلُهُ بِي.

دَخَلْنَا الْقَصْرَ وَانْتَقَدْنَا مِنْ رَدْهَةٍ إِلَى أُخْرَى وَمِنْ قَاعَةٍ إِلَى قَاعَةٍ حَتَّى وَقَفْنَا فِي النِّهَايَةِ بَابٍ كَبِيرٍ عَلَيْهِ حِرَاسٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ، يَحْمِلُونَ بِيَدِيهِمْ سِوْفَهُمْ وَحِرَابَهُمْ. وَحِينَ رَأَى كَبِيرُهُمْ دَخَلَ إِلَى الْقَاعَةِ ثُمَّ عَادَ إِلَيْنَا وَأَذَنَ لِي وَحَدِي بِالدُّخُولِ. وَمَا أَنْ دَخَلْتُ إِلَى الْقَاعَةِ حَتَّى رَأَيْتُ السُّلْطَانَ جَالِسًا فِي صَدْرِهَا وَحَوْلَهُ وَزَرَؤُهُ وَعَدِيدٌ مِنْ عُلَمَاءِ قَوْمِهِ. فَتَقَدَّمْتُ بِحُطُوبٍ مُضْطَرِبَةٍ وَقَلْبٍ يَرْتَجِفُ خَوْفًا. ثُمَّ انْحَنَيْتُ أَمَامَهُ، قَائِلًا: «حَفِظَ اللَّهُ لِسُلْطَانٍ وَأَذَامَ مُلْكِهِ». فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ وَقَدْ نَهَضَ مِنْ مَجْلِسِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَتَقَدَّمَ إِلَيَّ مُبْتَسِمًا وَهُوَ يَقُولُ: «مَرْحَبًا بِضَيْفِنَا الْعَزِيزِ. وَأَهْلًا بِكَ فِي مَمْلَكَتِنَا». وَحِينَئِذٍ تَبَدَّدَ خَوْفِي وَأَطْمَآنَنْتُ نَفْسِي وَنَهَضْتُ وَاقِفًا فَأَمْسَكَ بِيَدِي وَأَجْلَسَنِي بِجَوَارِهِ. ثُمَّ أَخَذَ يَسْأَلُنِي عَنْ خَالِي وَسَبَبِ قُدُومِي إِلَى هَذَا الْبَلَدِ. فَأَخْبَرْتُهُ بِكُلِّ حِكَايَاتِي وَرَوَيْتُ لَهُ قِصَّتِي كَمِلَةً. وَكَانَ السُّلْطَانُ يَتَعَجَّبُ مِمَّا يَسْمَعُ وَكُلُّ مَنْ حَوْلَهُ يَنْظُرُونَ وَيَسْتَمِعُونَ وَهُمْ فِي غَايَةِ الْعَجَبِ وَلَدَهْشَةٍ. وَلَمْ أَكْذِ أَنْتَهِيَ حَتَّى سَمِعْتُ السُّلْطَانَ يَقُولُ: «مِثْلُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ مَنْ يَسْتَفِيدُ مِنْهُمْ الْمُلُوكُ. وَمِنْ الْآنَ سَتَكُونُ أَحَدَ الْمُقَرَّبِينَ مِنِّي الَّذِينَ أُسْتَشِيرُهُمْ وَأُسْتَمْعُ لِرَأْيِهِمْ. ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يُجَهَّزَ لِي مَكَانٌ فِي الْقَصْرِ يَلِيقُ بِمَقَامِي عِنْدَهُ».

وَأَقَمْتُ بِقَصْرِ السُّلْطَانِ زَمَنًا لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَقَدْ وَهَبَنِي مَالًا وَهَدَايَا كَثِيرَةً وَأَصْبَحْتُ مُقَرَّبًا لَدَيْهِ، يَطْلُبُ مِنِّي الْمَشُورَةَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ دَوْلَتِهِ. وَفِي يَوْمٍ خَرَجْنَا جَمْعًا لِلصَّيْدِ فَعَجِبْتُ إِذْ رَأَيْتُ الْجَمِيعَ يَمْتَطُونَ الْجِيَادَ بِغَيْرِ سُرُوحٍ أَوْ رُكَبٍ. وَمَا أَنْ تَحَرَّكَ الْمُوكِبُ حَتَّى وَجَدْتُهُمْ يَسْقُطُونَ مِنْ عَلَى طُهُورِ الْخَيْلِ كَمَا أَسْرَعْتُ. فَتَقَدَّمْتُ مِنَ السُّلْطَانِ الَّذِي كَانَ يُحَاوِلُ أَنْ يَطْلُ عَلَى ظَهْرِ جَوَادِهِ وَيُعَانِي مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ مُعَانَاةً شَدِيدَةً. وَقُلْتُ لَهُ: «يَا

مَوْلَايَ، إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ سَرَجًا تَضَعُهُ عَلَى جَوَادِكَ يَكُونُ لَكَ فِيهِ الرَّاحَةُ
وَالْأَمَانُ». فَذَهَشَ الْمَلِكُ بِقَوْلِي وَقَالَ: «أَيُّ سَرَجٍ هَذَا الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ؟؟ فَنَحْنُ نَمْ
نَسْمَعُ عَنْ شَيْءٍ مِثْلِ هَذَا وَلَمْ نَعْرِفْهُ قَبْلَ ذَلِكَ؟!»، فَقُلْتُ لَهُ: «يَا مَوْلَايَ إِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ
أَصْنَعَهُ لَكَ بِفَقْسِي»، وَبَعْدَ عَوْدَتِنَا أَرْسَلْتُ بَعْضَ الْحُرَّاسِ لِيَشْتَرِيَ لِي كُلَّ مَا أَحْتَاجُهُ
لِصِنَاعَةِ السَّرَجِ ثُمَّ بَدَأْتُ فِي الْعَمَلِ مِنْ فَوْرِي فَمَا مَضَى سِوَى أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ إِلَّا وَكُنْتُ قَدْ
صَنَعْتُ سَرَجًا جَاءَ رَوْعَةً فِي الْإِتْقَانِ وَالْجَمَالِ لِلنَّظَرِ وَطَلَبْتُ مُقَابَلَةَ السُّلْطَانِ وَقَدَّمْتُهُ إِلَيْهِ



فَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَرِحًا مَتَعَجِبًا وَنَادَى عَلَى كُلِّ مَنْ فِي الْقَصْرِ لِيُشَاهِدَهُ . ثُمَّ نَزَلْنَا إِلَى حَيْثُ الْخَيْلُ فَوَضَعْتُهُ عَلَى جَوَادِ السُّلْطَانِ الْخَاصِّ وَطَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَمْتِطِيَهُ فَفَعَلَ وَأَسْتَوَى فَوْقَهُ وَوَضَعَ قَدَمَيْهِ فِي الرِّكَابِ وَأَخَذَ بِجَوْلٍ بِهِ وَيَصُولُ فِي الْحَدِيقَةِ وَهُوَ فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ وَالنَّشْوَةِ ، وَوَقَفَ الْجَمِيعُ يَنْظُرُونَ وَكَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ عَجَبًا . وَقَبْلَ الْجَمِيعِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ اسْلُطَانُ يَهْتَوْنِي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الْعَظِيمِ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ طَلَبَ لِسُلْطَانُ مِنِّي أَنْ أَصْنَعَ لَجَمِيعِ أُمَرَاءِ الْمَمْلَكَةِ وَوُزَرَائِهَا سُورُوحًا لِيُخَوِّلَهُمْ . عَلَى أَنْ يَدْفَعَ كُلُّ مِثْمُومَةٍ وَزَنَ سَرَجِهِ ذَهَبًا . أَمَّا السُّلْطَانُ نَفْسُهُ فَقَدْ وَهَبَ لِي مَالًا كَثِيرًا مَعَ ثَلَاثَةِ صَنَادِيقٍ مَمْنُونَةٍ بِالذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ النَّفِيسِ . .

وَلَمْ تَمُضِ عِدَّةٌ شَهْرٍ حَتَّى كُنْتُ قَدْ فَرَعْتُ مِنْ صِنَاعَةِ السُّرُوحِ لِلْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَائِ وَجَمَعْتُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مَالًا لَا يُحْصَى وَلَا يُعَدُّ . .

وَحَرَجَ الْجَمِيعُ مَعَ السُّلْطَانِ بَعْدَ ذَلِكَ لِبَصِيدِ الْقَنْصَرِ فَمَا وَقَعَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مِنْ فَوْقِ فَرَسِهِ . . ثُمَّ عَادَ السُّلْطَانُ وَطَلَبَ أَنْ أُقِيمَ مَبْنًى كَبِيرًا وَأَتَّخِذَ الْعَدِيدَ مِنَ الْعُمَّالِ وَالصَّنَّاعِ ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ كَيْفَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ السُّرُوحَ مِنْ أَجْلِ فُرْسَانِهِ وَجُنُودِهِ وَأَفْرَادِ شَعْبِهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِي أَجْرٌ عَلَى كُلِّ مَا أَصْنَعُهُ أَنَا وَعُمَّالِي . وَلَمْ يَمُضِ وَقْتُ كَبِيرٍ حَتَّى كُنْتُ قَائِمِينَ بِهَذَا الْعَمَلِ . وَأَقْبَلَ الْكَثِيرُ مِنْ أَفْرَادِ الشَّعْبِ يَطْلُبُونَ هَذِهِ السُّرُوحَ مِمَّا عَادَ عَلَيَّ فِي النِّهَايَةِ بِالنَّفْعِ الْعَظِيمِ وَالثَّرْوَةِ الطَّائِلَةِ .

وَهَكَذَا طَابَتْ لِي الْحَيَاةُ أَغْوَامًا ثَلَاثَةَ ذَوَاعٍ فِيهَا صَيَّتِي تَيْنَ النَّاسِ وَأَصْبَحَ الْمَصْنَعُ الَّذِي شَيْدَتْهُ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ قِبْلَةً أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَجَمِيعِ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يَعْدُونَ إِلَيْهَا . وَأَصْبَحَ اسْمِي يَتَرَدَّدُ عَلَى لِسَانِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ . حَتَّى كَانَ ذَلِكَ يَوْمًا ، وَبَيْنَمَا أَنَا جَائِسٌ أَبَاشِرُ الْعَمَلِ إِذْ وَقَفَ أَمَامِي رَجُلٌ مَا أُنْ رَأَيْتُهُ حَتَّى أَحَدْتُهُ بَيْنَ ذِرَاعِي سَعِيدًا بِرُؤْيَيْهِ غَيْرَ مُصَدِّقٍ بِوُضُوءِهِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ . فَقَدْ كَانَ الرَّحْلُ أَحَدَ التُّجَّارِ الَّذِينَ كَانُوا

يَتَعَامَلُونَ مَعِيَ فِي بَغْدَادَ. وَبَعْدَ الْعِنَاقِ وَلِتَرْحَابِ سَأَلْتُهُ فِي دَهْشِهِ كَيْفَ وَصَلَ إِلَى هَذَا
الْبَلَدِ؟ وَمَنِ الَّذِي دَلَّهُ عَلَى هَذَا الْمَكَانِ؟ فَأَجَابَ الرَّجُلُ ضَاحِكًا: «لَقَدْ وَصَلْتُ إِلَى هُنَا
فِي مَرْكَبٍ كَبِيرٍ. وَنَزَلْتُ إِلَى الْمِينَاءِ لِلْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ مَعَ بَقِيَّةِ الرُّكَّابِ. وَدَخَلْتُ أَحَدَ الْمَتَاجِرِ
لِشِرَاءِ حَاجَاتٍ لِي فَرَأَيْتُ فِي الْمَتَجَرِ سَرَجًا جَمِيلَ الشَّكْلِ جَيِّدَ الصَّنْعِ، فَسَأَلْتُ صَاحِبَ
الْمَتَجَرِ عَنْ ثَمَنِهِ فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ لِبَيْعٍ وَإِنَّمَا صُنِعَ مِنْ أَجْلِهِ هُوَ. فَقُلْتُ لَهُ: وَمِنْ أَيْنَ أَتَى
بِوَاحِدٍ مِثْلِهِ فَدَلَّنِي عَلَى هَذَا الْمَكَانِ..»

فَقُلْتُ حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَمَعَنِي بِكَ. وَلَكِنْ يَنْ سَفِيَّتُكَ الْآنَ؟ فَقَالَ إِنَّهَا بِالْمِينَاءِ،
وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ سَيَرْحَلُونَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ. فَقُلْتُ لَهُ إِنِّي سَأَرْحَلُ مَعَكُمْ فَأَخْبَرَ قَبْطَانُ
الْمَرْكَبِ أَلَّا يَبْرَحَ الْمِينَاءَ بِدُونِي. وَأَنْتَ وَجَمِيعُ الرُّكَّابِ ضُيُوفِي اللَّيْلَةَ فَأَذْهَبُ
وَأُحْضِرُهُمْ.

وَبَعْدَ أَنْ ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى حَيْثُ كَانَ زَمَلَاؤُهُ، أَسْرَعْتُ بِالذَّهَابِ إِلَى قَصْرِ السُّلْطَانِ
وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا حَدَثَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَسْمَحَ لِي بِالسَّفَرِ مَعَهُمْ. فَقَالَ السُّلْطَانُ: «إِنِّي لَيُخْزِنُنِي
أَنْ تَتْرُكَنَا وَتَرْحَلَ عَنَّا. لَكِنْ مَا قَدَّمْتَهُ لَنَا مِنْ عَمَلٍ جَلِيلٍ يَجْعَلُنِي لَا أَرْفُضُ لَكَ طَبَابًا.
وَإِنِّي أَعْلَمُ مَدَى أَشْتِيَاقِكَ لَوْطَنِكَ فَأَذْهَبُ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ». ثُمَّ أَمَرَ لِي بِمُكَافَأَةٍ كَبِيرَةٍ
وَتَمَنَّى لِي التَّوْفِيقَ.

وَأَسْرَعْتُ بِالْعُودَةِ إِلَى الْمَصْنَعِ فَوَجَدْتُ الرَّجُلَ وَمَعَهُ جَمِيعُ رُكَّابِ الْمَرْكَبِ فَسُرَرْتُ
بِرُؤْيَيْهِمْ وَاصْطَحَبْتُهُمْ جَمِيعًا إِلَى قَصْرِي وَأَكْرَمْتُهُمْ غَايَةَ الْكَرَمِ مِمَّا جَعَلْتُهُمْ فِي سَعَادَةٍ
بَالِغَةٍ..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ جَمَعْتُ كُلَّ ثَرَوَتِي وَكُنُوزِي فِي صَنَادِيقَ وَتَوَجَّهْتُ إِلَى الْمَرْكَبِ
الَّذِي أَقْلَعُ بِنَا فِي نَفْسِ الْيَوْمِ أَخَذًا وَجْهَتَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَوَصَّيْنَاهَا بَعْدَ عِدَّةِ شُهُورٍ لَمْ
يَحْدُثْ فِي الرَّحْلَةِ مَا يُعَكِّرُ صَفْوَنَا، أَوْ يُهْدِدُ أَمْنَنَا.

وما أن رأيت الميناء عن بُعد حتى رقص قلبي طرباً وفرحاً لعودتي بعد غيبة دامت
أكثر من أربعة أعوام.

وفي البصرة جهزت قافلة كبيرة اتجهت بها إلى بغداد فوصلتها بعد عدة أيام
واستقبلني الجميع بالترحاب والفرحة وتوجهت إلى قصري الذي تم له ضيأؤه واكتمل
بالناس بهاؤه.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى متجري وعمالي فرأيتهم في خير حالٍ وقدموا لي ما
اجتمع لديهم من مالٍ وأرباحٍ طوال هذه الأعوام فكافأتهم ووهبت لهم المال الكثير
وتصدقت على الفقراء وشكرت الله على عودتي سالماً غانماً وقطعت عهداً على نفسي
بالأفكر في السفر مرة أخرى. ولكن كنت على موعدٍ آخر مع القدر.

فإلى اللقاء.

أسئلة حول الرحلة الرابعة

١	لماذا قرر «السندباد البحري» السفر مرة أخرى؟
٢	هل كسب السندباد ورفاقه مالاً وفيراً؟ لماذا لم يعودوا إلى البصرة؟
٣	هل بقي البحر هادئاً؟ ماذا حلّ بالسفينة؟
٤	بم تعلّق السندباد لينجو؟ ما الذي أربعه وهو في الماء؟
٥	كيف واجه السندباد السمكة المتوحشة التي هاجمته؟ هل نجح؟ وماذا طلب إلى رفاقه؟
٦	كيف تمكن السندباد ورفاقه من الوصول إلى الشاطئ؟
٧	بم فوجئ السندباد ورفاقه وهم على أرض تلك الجزيرة؟ وكيف تصرف تلك المخلوقات؟
٨	ماذا أعدت تلك المخلوقات للسندباد ورفاقه؟ وهل شرب السندباد من ذلك الشراب؟
٩	ما كان تأثير ذلك الشراب على الرفاق؟ ولماذا أخرج المتوحشون اثنين منهم؟
١٠	كيف هرب السندباد وإلى أين وصل؟
١١	إلى أين رافق السندباد القوم الذين التقاهم؟ وهل كان مسروراً؟
١٢	هل كان خوف السندباد عندما أرسل سلطان المدينة في طلبه في محله؟ ماذا كانت النتيجة؟
١٣	ماذا قدّم السندباد للسلطان وما كان رد فعل السلطان؟
١٤	ماذا طلب السلطان إلى السندباد؟ وعلام حصل السندباد مقابل ذلك؟
١٥	كيف التقى السندباد بالتاجر الذي كان يتعامل معه في بغداد؟ وماذا قرر بعد ذلك؟

قاموس الألفاظ

أ

الإتقان: الإحكام.

الإعياء: التعب الشديد.

الامتعاض: الغضب وصعوبة التحمل.

إنصاع لأمره: أطاع أمره.

أوصالي: أعضائي.

ت

تشبّثت بها: تعلّقت بها.

ث

ثنايا الجبل: منعطفاته.

ج

الجبلة: اختلاط الأصوات

والصباح.

الجشع: الطمع.

جليل: عظيم.

ح

حظيرة: زريبة.

د

الدر النفيس: الجوهر الغالي.

ذ

ذاع صيتي: اشتهرت.

ر

رُكب: مفردها ركاب وهو ما يعلّق

في السرج ليُجعل الراكب فيه رجله.

س

سكّبت: صببت.

ش

شداد: أقوياء.

ط

طابت: لذّت وحلّت.

غ

غامت السماء: كانت ذات غيم.

غاصت: غطست.

غلاظ: مفردها غليظ وهو الشديد

الفظ.

م

ملاحقة: مطاردة.

ن

النعيق: صوت الغراب.

النهيق: صوت الحمار.

و

الوعورة: صعوبة المسلك.

وليمة: مأدبة.

ي

يصول: يشب.

يعاني: يكابد.

يفدون إلى المدينة: يزورونها.

بمتطيه: يركبه.



رجال و النساء

- ١ : الأسيمة المخطوفة
- ٢ : أرض الأملاس
- ٣ : المارد و اللؤلؤ
- ٤ : سروج الخيل
- ٥ : زواج الأسيمة
- ٦ : في جزيرة الأقزام
- ٧ : الزواج السعيد

الكتاب الذي يجب أن يقرأه كل من يحب
مكتبة - بيروت

(رجال و النساء - سروج الخيل)



9 786144 144497